

باب التوبة مفتوح والله الحمد

— من رحمة الله تعالى وعظيم لطفه بعباده ، أن فتح لهم باب التوبة :

— فقد قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ ﴾ (١) .

— وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢) .

— وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (٣) .

— هذا : وللتوبة شروط :

— فالتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاث أشياء :

— أولاً : أن يقلع عن المعصية في الحال .

(١) سورة الشورى : آية : ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٧٠ .

(٣) سورة طه : آية : ٨٢ .

— ثانياً : أن يندم على فعلها .

— ثالثاً : أن يعزم ألا يعود إليها .

— والتوبة من حقوق الأدميين : يشترط فيها هذه الثلاثة .

— ورابع : أن يبرأ من حق صاحبها .

— فإن كان مالاً أو نحوه : رده إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه
مكنه منه ، أو طلب عفوهِ .

— وإن كان غيبة ، فقد اختلف العلماء في توبة المغتاب :

— هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه ؟

— قال بعضهم : لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه ^(١) .

— وقال بعضهم : يجوز .

— وفيه وجهان :

— إن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه فاستحلّه ، وأظهر له

^(١) الذين قالوا : لا بد أن يستحل من صاحبه ، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلّمته إليه ، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها .

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فإنه يشغل قلبه ، ويوغر عليه صدره ، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه ، فضلاً عن أن يوجهه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها ، والله أعلم .

الندم على فعله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَنْدَرٍ مَظْلَمَةٍ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ " (١) .

— أما إن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل : جعل مكان استحلاله الاستغفار ، والدعاء له والثناء عليه بما فيه من خير أمام من اغتابه أمامهم لإصلاح قلوبهم ، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكليلا يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبداً .

— هذا : وعلى المغتاب : أن يستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه ويعزم ألا يعود إليها ، ومن أصر عليها ، ولم يجتنبها ، فقد عصي الله ورسوله ، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٢) .

(١) أخرجه البخاري .

(٢) سورة النساء : آية : ١٤ .

— فهِلَمْ أَخِي الْكَرِيمَ إِلَى التَّوْبَةِ ، فَبَابِ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ :

— فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " (١) .

— وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿ (٢) " (٣) .

— وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " (٤) .

(١) أخرجه مسلم .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٣٥ : ١٣٦ .

(٣) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٤) أخرجه الترمذي .

— وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ " (١) .

— وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلِكَةٍ ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ، ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ ، وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَالَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ " (٢) .

— وَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ : لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ (٣) خَطِيئًا ثُمَّ لَقِيتَنِي

(١) أخرجه ابن ماجه وإسناده حسن .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) قراب الأرض : أي ما يقارب ملئها .

لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا لَأَتَّيْتُكَ بِقَرَابَةٍ مَغْفِرَةٍ" (١) .

— فانظر أخي الكريم إلى سعة رحمة الله تعالى بعباده : وأن العبد إذا كان يدعو الله سبحانه وتعالى ويرجوه غفر له ، وأنه إذا تاب إلى الله واستغفر بعد استكثاره من الذنوب ، وبلوغها إلى حد لا يمكن حصره ، ولا الوقوف على قدره غفرها له .

— ومثال ذلك : والله المثل الأعلى ، هب أنك أساءت يوماً إلى أحد من الناس ثم أتيت نادماً واعتذرت له لأنك أخطأت في حقه وهو لا يستحق أن نسيء إليه فإنه يرق قلبه ويصفح عنك ، فما بالك يا أخي برب العالمين ، وأرحم الراحمين العفو الغفور ، فهو الذي يغفر ولا يبالي ، ويعطي بغير حساب .

— فهلم إلى سعة رحمة الله ، وإياك أن يمنعك من التوبة أخطاء حملت همها ، وذنوب تتأقلتها ، وهل هناك يا أخي ذنب أعظم من الكفر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٢) . فما ظنك بما دونه .

(١) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٢) سورة الأنفال : آية : ٣٨ .

فتب وعد إلى مولاك ، وأبشر فربك قد ناداك ، فقال سبحانه :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه

كما يحب ربنا ويرضى ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة

عرشه ، ومداد كلماته ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

وآله ، وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين

ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) سورة الزمر : آية : ٥٣ .